بعض ملامح التجديد في الدرس الصوتي العربي

الخصائص و سر صناعة الإعراب لابن جني أنموذجًا

أ.د عمار ساسي

جامعة سعد دحلب –البليدة–

– مقدمة :

موضوع التجديد من أهم الموضوعات التي يطلبها البحث العلمي في العصر، بل هو هم كل مجتهد أمين ، وهو غاية كل باحث أكاديمي رزين. و أكثر من هذا أن التجديد هو سنة كونية و آية ساطعة من آيات الله في التسيير والتدبير، إذ أنك لا تكاد ترى في الحياة كلها يومين متساويين ، ولا تكاد تلحظ نباتا، أو شجرا، أو ورقا ، أو جمادا، أو حيوانا متشابها باق على حالة واحدة ثابتة في الحياة كلها . فكيف بالإنسان أكرم مخلوق فوق الأرض ، و خليفة الله فيها. قال تعالى: (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (1).

و الأكبر من هذا أن ترادف الرسالات السماوية فيها صبغة من الحركية الإيجابية ، و سمة من سمات التجديد الموائم لتعاقب الزمن وحركته المستمرة. و رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت تواصلا تجديديا للرسالات السماوية السابقة في أصولها. و قد نقرأ معاني التجديد من النصوص القرآنية التالية تصريحا مرة ، و تلميحا أخرى ، منها قوله تعالى: (و ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (2). وقوله: (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا) (3)، و قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسيها نأتي بخير منها أو مثلها) (4)، و قوله: (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ، و لذلك خلقهم) (5). و الاختلاف من هنا هو مفجر فعل الاجتهاد ، و هو سبيل إلى عين التجديد.

فقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (6) ، هو من تجديد وسائل الدفاع عن الدين . وقوله أيضا: (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) (7)، فيه أمارة التجديد الكبرى في حياة الإنسان.

كما تصادفنا نصوص نبوية كثيرة في هذا المعنى ، و في هذا السياق , منها قوله صلى الله عليه وسلم: (من استوى يوماه فهو مغبون) (8). و قوله: (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة إلى هذه الأمة من يجدد لها دينها) (9). وما دام الأمر كذلك ، كان حقا على الله أن يجازي المجتهد المجدد على صواب اجتهاده حسنتين ، و على خطإ اجتهاده حسنة واحدة. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الحاكم إذا اجتهد وأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد وأخطأ فله أجر واحد) (10). ذاك لأن الاجتهاد تجديد ممدوح .

فإذا اجتهدت الأمة جددت حالها و حياتها مع الأرض ومع السماء، أجرت أجرا أوفى ، وإذا غلقت باب الاجتهاد على نفسها جمدت ، و أثمت إثما مبينا ، وصارت فريسة لأعدائها المتربصين بها الدوائر في كل زمان ومكان. قال الله تعالى: (ودوا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة) (11). وهكذا السياق في شتى مجالات الحياة ، و لعل أساسها بعد الدين العلم. و من العلم علوم ، كما من الشجرة فروع. و اللّغة و النقد و الأدب أفرع من شجرة العلم النافع. ولحكمة ما ربط الله تعالى في كتابه الكريم بين الكلمة والشجرة طيبا وخبثا ، فقال تعالى: (ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (12).

فكلا التجديدين في الدين والعلم حياة طيبة للأمة.

و على هذا أحسب أن مصطلح التجديد جاء على صيغة (تفعيل) ، التي تفيد في دلالتها الكلية معنى التصيير ، أي صير الأمر جديدا ، بمعنى ألبسه حلة قشيبة جعلت الناظر إليه يراه جديدا. جاء في لسان العرب : .. والجدة مصدر الجديد ، وأجد ثوبا ، واستجده. وثياب جدد ، مثل سرير وسرر. و تجدد الشيء صار جديدا ، و أجده وجدده واستجده ، أي صيره جديدا ..... و الجديد ما لا عهد لك به ، و لذلك وصف الموت بالجديد ....(13). ويقابل الجديد القديم. والتجديد لا يطلب بالضرورة إلغاء القديم برمته مطلقا ، ولا هو يحمل معنى التبديل ، ولا يرادف معنى التحويل ، ولا يشابه معنى التغيير ، إذ لكل مصطلح دلالته الدقيقة. والشاهد في ذلك أن القرآن الكريم وظف كلا من هذه المفردات في معناه الخاص. قال تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (14). وقال: (فبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل) (15). وقال: (فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) (16).

وقال أيضا: (و لأمرنهم فليغيرن خلق الله) (17).

وقوله تعالى: (أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) (18) ، وقوله: (جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) (19). وقد يجلي السياق الفروق الدقيقة بين هذه المفردات التي يظن أنها مترادفات.

- **من هو أبو الفتح بن جني ؟**

هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي اللغوي ، من أحذق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو ، و هو صاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة (20). ولم تذكر المصادر التاريخية وكتب التراجم نسبا له بعد جني ، إذ أن أباه جني كان عبدا مملوكا روميا ، وكان مملوكا لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي (21).

و جني بكسر الجيم وتشديد النون وكسرها و سكون الياء ، علم رومي وهو معرب كني به (22). وقد أراد ابن جني تفسير اسم أبيه جني الرومي ، فوجد أنه يعني في العربية الفاصل ، وتعني في اليونانية كريم، نبيل، جيد التفكير،عبقري،مخلص (23).

وقد ذهب الشربيني في مقدمة الخصائص إلى أن ابن جني كان في لسانه لكنة لمكانه في العجمة من جهة أبيه ، فكان يستعين على إيضاح ما يريد بالإشارة ، وكان رجل جد و أمرأ صدق في قوله وفعله ، فلم يعرف عنه اللهو والشرب و المجون. وكان عف اللسان والقلم ، يتجنب البذيء من الألفاظ ، ولم يكن همه رضاء الملوك ومنادمتهم كأدباء عصره (24).

وابن جني هذا هو من أكبر علماء العصر العباسي الثاني تتلمذ على يد عالم فذ كبير هو أبو علي الفارسي الذي يعد أهم شخصية علمية أثرت تأثيرا بالغا في تكوين العالم التلميذ أبي الفتح بن جني. لذلك كان ابن جني شديد التعلق بشيخه ، و كثير النقل عنه. وقد أفضنا في ذكر أبي علي ونبل قدره ، و نباوة محله. وأحسب أن أبا علي قد خطر له ، وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ، فأصغى أبو بكر إليه ، ولم يتشنع هذا القول عليه (25).

وقد صاحب التلميذ الأستاذ مدة أربعين سنة. لقد مر أبو علي الفارسي بالموصل فوجد شابا يقرئ النحو فسأله عن مسألة في التصريف فقصر فيها ، فقال له أبو علي: زبت وأنت حصرم. و منذ ذلك الحين لم يفارق ابن جني أبا علي. نهل عنه وعن غيره من العلماء ، كما كانت بينه وبين المتنبي صحبة. وكان يحضر بحلب عنده كثيرا ، ويناظر في شيء من النحو ، وكان يكنيه باسم شاعرنا ، حتى أن المتنبي قال فيه : ابن جني أعرف بشعري مني . وكان المتنبي إذا سئل عن شيء من دقائق النحو والتصريف في شعره يقول: سلوا صاحبنا أبا الفتح (26).

وإلى جانب شيخه أبي علي الفارسي (377هـ)، فقد أخذ النحو عن أحمد بن أحمد الشافعي الموصلي المعروف بالأخفش ، وأبي بكر محمد بن الحسن بن يعقوب المعروف بابن مقسم أحد قراء بغداد ، وكان عالما باللغة والشعر ، وسمع من ثعلب ، وتوفي سنة 354هـ. وقد تردد اسم بن مقسم مرارا في كتبه كسر صناعة الإعراب والخصائص. وكان يأخذ عنه عن أحمد بن يحي ثعلب. وقرأ على أبي الفرج الأصفهاني. وروى عن أبي بكر محمد بن هارون الروياني عن أبي حاتم السجستاني ، وروى أيضا عن محمد بن سلمة عن أبي العباس بن المبرد. ومن العرب الفصحاء الذين أخذ عنهم اللغة ، وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد بن العساف العقيلي التميمي ، وكان يذكره ابن جني باسم أبي عبد الله الشجري (27).

و كان لفرط حبه للعلم يأخذه من مصدر أهله من البصرة ، أو من الكوفة. وكان يكثر من النقل عن ثعلب و الكسائي ، وكان يحترمهما ، بل يمدحهما رغم اختلافه معهما في المذهب. وكان يأخذ برأي المدرسة البغدادية التي كانت وسطا بين البصرية والكوفية ، الأمر الذي قاده إلى الإلحاح على جعل اللغة علما قائما بذاته. وبهذه الرؤية العلمية الشاملة صلبت أرضيته الفكرية اللغوية 'وجعلته يبتكر القاعدة اللغوية المطردة والشاملة التي أخذ بها من جاء بعده في تثبيت أسس البحث اللغوي وطرائقه و أساليبه. ففتح بذلك أبوابا لم يتسن فتحها لسواه ، ووضع أصولا في الاشتقاق ومناسبة الألفاظ للمعاني ، وإهمال ما أهمل من الألفاظ ، وغير ذلك .وممن استفادوا من بحوثه ابن سيده ، وابن سنان الخفاجي، وغيرهم (28).

وقد بلغ ابن جني بهذا الإنجاز مكانة عالية ، وشهد له بها المتقدمون و المتأخرون. يقول أبو منصور الثعالبي: هو القطب في لسان العرب ، و إليه انتهت الرياسة في الأدب (29). ويراه سعيد الأفغاني أعلى علماء العربية كعبا في جميع عصورها ، و أغوصهم عامة على أسرار علم العربية ، والاهتداء إلى النظرية العامة فيها. ونسب إليه ابتداع نظرية الاشتقاق الأكبر، و تأسيس فقه اللغة ،

و إمارة علم التصريف بلا منازع. ولعل الغريب في أمر ابن جني أنه رغم ما آل إليه وضع عصره في القرن الرابع الهجري، حيث أصيب العالم الإسلامي بانقسام كبير، ضعفت على أثره الدولة العباسية ، وغلب الخلفاء على أمرهم ، وتعرضوا للخلع ، ولم يبق لهم رأي في الرعية ' مما جعل رقعة الفوضى تستشري ، ودائرة الفساد تتسع ، و حالة الوضع تتردى إلى نقطة الصفر. لكن الغريب المدهش أن هذا التردي الصريح لم يؤثر على الحالة العلمية سلبا ، فالعالم الإسلامي في هذا القرن كان أعلى شأنا من القرون التي سبقت ، إذ قد تم فيه امتزاج الثقافات ، أين أخذ الخلفاء يشجعون الطب والتنجيم ، كما نفذ أهل العلم إلى أبواب الفلسفة و الرياضيات. كما اعتنى العلماء والأمراء بجمع الكتب وتأليفها ، وأنشئت في هذا العصر كثير من دور الكتب و المؤسسات العلمية (30).

– أشهر منجزات العالم اللغوي أبي الفتح بن جني:

– **الخصائص:** ألف ابن جني كتاب الخصائص ليبحث النظام العام للغة منطلقا من تمثله لأراء أستاذه أبي علي الفارسي القائمة على دراسة اللغة دراسة بنيوية وظيفية ، فشرح عموميات اللغة في مستهل كتاب الخصائص ، كالفرق بين القول والكلام ، ومعنى النحو والإعراب والبناء ، وتطرق إلى أصل اللغة، أوحي هي أم اصطلاح ؟ ولم يجزم بواحدة منهما ، وقبل بنظرية ثالثة هي نظرية الأصل الطبيعي. ولم يتوقف طويلا عند هذا الموضوع ما دام لا يغير شيئا من حقيقة القوانين اللغوية ، وأوضح أن هدفه تأسيس أصول للنحو على غرار أصول الفقه ، ورفع العلل الكلامية ، فخطط أسلوب البحث العلمي وطريقة وضع القواعد الشاملة. وأكد أن للغة قوانين تحافظ عليها. وأفرد أبوابا كثيرة للقياس الذي يتزعم مدرسته ، إلى جانب دراسات صوتية تصب هي الأخرى في مجرى النظام العام للغة (31).

وقد يكون لي رأي في سر هذه التسمية لمؤلفه الخصائص التي يريد منها إظهار اللسان العربية بخصائصه المميزة والفريدة في الأصوات والمفردات والتراكيب و الدلالات و أساليب الخطابات ، أخذا بقوله تعالى في معنى هذه الخصوصية و المايزة بين اللسان العربي و اللسان الأعجمي: (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) (32).

– كتاب سر صناعة الإعراب :

وقد سمى كتابة بهذا اللقب ، لأنه يريد أن يكشف عن أسرار تأليف الكلمات من الحروف من جمال وقبيح ، وتفسير ظواهر الإعلال ، و الإبدال ، و الإدغام ، و التسهيل. فهو لم يقتصر على سر واحد ، إنما يحلل أسرار صناعة اللغة العربية.

وهو حين ذكر الإعراب لم يتعرض للإعراب إلا عرضا، غير أنه كان يرى أن الإعراب اسم شامل للإعراب و غيره. وكان الموضوع الرئيس للكتاب هو الدراسة التصريفية لحروف المعجم. وقد توسع ليشتمل مسائل أخرى كالدراسة الصوتية. وهذا فعل علمي واع ، لأن الدراسة التصريفية تقوم أساسا على علم الصوتيات. كما ركز ابن جني على قضايا كثيرة ، منها الاشتقاق والعروض وحروف المباني ، حيث بحث في أصالتها ، وزيادتها ، وإبدالها ، وإعلالها. وعنده التصريف صنو الإعراب .يقول ابن جني في ذلك : والغرض في صناعة الإعراب والتصريف إنما هو أن يقاس ما لم يجئ على ما جاء (33). و مدلول الإعراب عنده هو التغيير الذي

يلحق أواخر الكلمات بسبب العوامل .ونجد ابن جني أحيانا يتجوز فيقابل بين التصريف و النحو ، يقول في ذلك : فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة ، والنحو هو لمعرفة أحواله المتنقلة (34).

والملا حظ للمادة العلمية التي احتواها الكتاب يجدها عظيمة ، لم تتوفر في أي كتاب سابق و لا لاحق ، لذلك كان كتابه فريدا ومميزا في نظمه وتبويبه وموضوعه. لقد جاء كلامه في الصوتيات مبهرا بحق للسابقين و اللاحقين من اللغويين العرب والغرب المحدثين. وقد جاءت شهادات صريحة من أعلام غربيين يثنون الثناء الحسن على هذا المنجز العلمي الكبير. ومن ذلك العالم (برجشتراسر) الذي يرى أن الأدلة التي ساقها ابن جني تقوم على ذوق لغوي دقيق. إن الباحث ليدهش كيف يأتي بتلك النتائج الباهرة ، ومن أين تتوافر وسائل الدرس المعاصر في علم الصوتيات. ومثله انبهر (كانتينو) حين أجرى ابن جني تجارب إليه تبرهن على كيفية حدوث تلك الأصوات المختلفة النغم في الجهاز الصوتي ، وحين شبه الحلق بالناي ، وحين وصف الصوت بخروجه مستطيلا أملسا ساذجا كما يجري الصوت في الأنف غفلا بغير صنعة.

ومن الغربيين الذين أبهروا بمنجزه الصوتي (دانيال جونز) و(فندريس) و (ماريوباي) غيرهم. ومن المحدثين العرب الذين شدوا إلى نتائج بحثه الدكتور كمال بشر "حيث يرى في قيمة كتاب سر صناعة الإعراب أنه المصدر الأساس في أي دراسة في الأصوات العربية ، فلا مناص لمن أراد البحث في الظواهر الصوتية من التعريج على هذا الأثر العظيم ، ولا يكاد يذكر علم الأصوات إلا مقرونا بكتاب سر صناعة الإعراب. ولم يقف حد الإعجاب عند القيمة العلمية الثقيلة التي تضمنها المنجزان اللغويان الخصائص وسر صناعة الإعراب لدى الباحثين على اختلاف مللهم ونحلهم "بل تجاوز ذلك إلى نقطة التجديد والاكتشاف الجديد الذي أتى به هذا العالم العبقري الفذ أبو الفتح بن جني في صلب البحث الصوتي العربي الدقيق. ومن اكتشافاته الرزينة تفريقه بين الأصوات الصامتة و حروف المد ، حيث شدت انتباه الدكتور تمام حسن ، وقادته إلى الإقرار أنه ليس هناك تعبير أوضح و لا أبرع من الذي جاء به هذا العبقري العربي من بيان الفروق الأساسية بين الأصوات الصامتة وحروف المد. وقد أختار بن جني الألف بالذات لأن ظاهر حرية مرور الهواء وانطلاقه من خلال الفم ، إنما يتحقق بصورة أوضح في نطق الألف ، فهي على حد تعبيره أوسع حروف المد و ألينها.

– ابن جني و التجديد في المسائل الصوتية:

– في مصطلح علم الأصوات:

يعد ابن جني بالإجماع أول من استعمل مصطلحا لغويا دقيقا للدلالة على هذا العلم ، لا نزال نستعمله حتى يومنا هذا ، وهو مصطلح (علم الأصوات). وابن جني يصرح بيقين أنه الرائد و القائد في مدرسة علم أصوات العربية بقوله: وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوض ، ولا أشبعه هذا الإشباع (35). و مصطلح علم الأصوات – برأينا– مصطلح عربي أصيل ، وقد جاءت تسميته صريحة لا غموض فيها ، يقول ابن جني في ذلك: ولكن هذا القبيل من هذا العلم ، أعني علم الأصوات والحروف ، له تعلق ومشاركة للموسيقى ، لما فيه من صنعة الأصوات و النغم (36). ويعلق الدكتور عبده الراجحي مندهشا كون ابن جني سمى دراسة الأصوات علما ، وإن كان لا يعني —حسب رأيه– بالأصوات ما يعنيه الدرس الحديث ، إذ

هي عنده قسيم للحروف ، ولذلك سماه علم الأصوات والحروف. لكن حسب رأينا نراه في مواضع أخرى يوظف الصوت في معنى الحرف ، وإن كان الفرق بينهما ظاهرا في حد تعريفه للصوت.

كما تلاحظ من كلامه هذا أنه لا ينص على مصطلح علم الأصوات فحسب، بل يربطه بالإيقاع الموسيقي والنغم الصوتي ، وكلاهما منه على وجه .وعليه فهذه التسمية الصريحة بهذه الدلالة الاصطلاحية الناصعة لم يسبقه إليها أحدٌ لا من قبل ولا من بعد. و هو ما استنتجه ابن جني ذاته حين قال: وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفن هذا الخوضٌ ولا أشبعه هذا الإشباع (37). و للعلم فقد وردت تسمية (علم الأصوات) في كتاب من أهم كتب ابن جني و هو سر صناعة الإعراب. وهو أول كتاب مستقل يؤلف في هذا العلم ، إذ لم يعرف العرب كتابا موقوفا على الأصوات وحدها. وهناك من يرى أنه أول كتاب في العالم مختص بالأصوات. ولا يقارن بكتاب (بانيني) العالم الهندي (القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد) ، لأن كتابه هذا المسمى (المثمن) لم يكن خاصا بالأصوات ، بل هو في النحو السنسكريتي عامة (38).

إن مجرد نظرة متأنية متأملة في هندسة كتاب سر صناعة الإعراب لتؤكد بالقطع كون المؤلف هو من العيار العلمي الثقيل المتخصص في الأصوات ، متكامل العدة والأسباب من خلال المفردات الصوتية الفذة التي بحثها وصنف القول فيها ، مبتدئا بتعداد حروف المعجم ، وضبط أصولها صوتيا ، و إيغاله في وصف مخارج الحروف وصفا دقيقا ، وتقسيم الأصوات إلى الأقسام التي لم يزد عليها علم الأصوات الحديث جزءا ذا بال ، وخوضه لما يعرض على الحروف من حذف وترخيم و إعلال وإبدال و إدغام وإشمام. ويضاف إلى هذا رهافته الصوتية المتأنقة ، و ذهنيته اللغوية الوقادة التي تماذج بين اللغة والصوت ، فتخالها كيانا واحدا متماسكا يشد بعضه بعضا (39). و في مقاربة هذه المناحي ومدارستها وملاحظتها ، تجده يبتكر مصطلح (علم الأصوات) ، ويضعه موضع البحث الموضوعي الهادف. ولهذا فإن ما تواضع عليه ابن جني من مصطلح علم الأصوات يمكن أن يكون الأصل الاصطلاحي الأول لما استقر عليه المصطلح الأوروبي (الفونولوجي) ، أي المسمى بالتشكيل الأصواتي ، أو علم وظائف الأصوات ، التي تعنى بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحويا وصرفيا في ضوء الصوت و الإيقاع لدى بحثه المصطلح (40).

ويرى الدكتور كمال بشر أن مصطلح علم الأصوات عند ابن جني على الصورة التي رسمها لهذا العلم جاء سابقا للمصطلح الغربي المقابل له وهو(الفونيتيك) - (phonetique).

– التجديد في مقدمة كتاب سر الصناعة:

من بداية قراءة المقدمة تشعر كأن ابن جني يود أن يقدم لك منهجه في هذا البحث الصوتي الدقيق لتقرأ فيه فكره ، وتتلمس فلسفته ، وتتثبت من وجهة نظره ، فتراه يذكر لك أحوال الأصوات في حروف المعجم العربي ، في مخارجها ، و مدارجها ، و انقسام أصنافها ، و أحكام مجهورها ، و مهموسها ، وشديدها ، ورخوها ، وصحيحها ، و معتلها ، و مطبقها ، ومنفتحها، و ساكنها ، و متحركها ، و مضغوطها و مهتوتها ، ومنحرفها ، ومشربها ، و مستويها ، ومكررها ، و مستعليها ، ومنخفضها ، إلى غير ذلك من أحكامها و أجناسها (41).

فابن جني بهذا الاسترسال البين يبسط لنا مهمة الفكر الصوتي في تحقيق المصطلحات بعامة عن طريق تشخيص المسميات التي أسماها ، وإن سبق إلى بعضها عند الخليل بن أحمد و سيبويه. و هو لا يكتفي بهذا القدر حتى يبحث في الفروق ، و يعين المميزات ، و يذكر الخصائص لكل حرف من هذه الأصناف ، و يفرق بينها وبين الحركات ، مع لوازم البحث ومقتضياته ، إلماما بجميع الجوانب ، وتنقيبا عن كل النوادر المتعلقة بهذه الأبواب ، فيقول :وأذكر الفرق بين الحرف و الحركة ، وأين محل الحركة من الحرف ، وهل هي قبله أو معه أو بعده ؟ وأذكر الحروف التي هي فروع مستحسنة ، والحروف التي هي فروع مستقبحة ، و الحركات التي هي فروع متولدة عن الحركات ، كتفرع الحرف من الحرف. و أذكر أيضا ما كان من الحروف في حال سكونه له مخرج ما ، فإذا حرك أقلقته الحركة ، و أزالته عن محله في حال سكونه. وأذكر أيضا أحوال هذه الحروف في أشكالها ، والغرض في وضع واضعها 'وكيف ألفاظها ما دامت أصواتا مقطعة ، ثم كيف ألفاظها إذا صارت أسماء معربة ؟ و ما الذي يتوالى فيه إعلالان بعد نقله مما يبقى بعد ذلك من الصحة على قديم حاله. وما يمكن تركبه ومجاورته من هذه الحروف مما لا يمكن ذلك فيه ، وما يحسن ، وما يقبح فيه ما ذكرنا. ثم أفرد فيما بعد لكل حرف منها بابا اغترف فيه ذكر أحواله ، و تصرفه في الكلام ، من أصليته وزيادته ، وصحته ، وعلته ، وقلبه ، إلى غيره ، وقلب غيره عليه (42).

إنّ هذا المنهج يكشف لك عن عمق الفكر الصوتي عند أبي الفتح بن جني ، إذ يعرض فيه زبدة تجاربه الصوتية دقيقة منتظمة ، ويتفرغ لبحث أصعب المشكلات الصوتية بترتيب حصيف ، يتنقل فيه من الأدنى إلى الأعلى ، ومن البسيط إلى المركب ، حتى إذا تكاملت الصورة لديه ، بدأ بالبحث المركز. فلا ترى فيه حشوة و لا نبوة ، و لا تلحظ فيه تكرارا أو اجترارا. فأنت بين يدي مناخ جديد مبوب بأفضل ما يراد من التصنيف و التأليف ، إذ لا تكاد تستظهر علما مما أفاض فيه ، حتى يلاحقك علم مثله كالسيل اندفاعا.

ولعل أبرز ما تبصره في سر صناعة الإعراب مرتبطا بجوهر الصوت اللغوي البحوث التالية:

1- فرق بين الصوت والحرف.

2- ذوق أصوات الحروف.

3- تشبيه الحلق بآلة الموسيقى (المزمار و العود).

4- اشتقاق الصوت و الحرف.

5- الحركات أبعاض الحروف.

6- العلل و علاقتها بالحروف.

7- مصطلحات الأصوات العشرة وما يقابلها.

8- حروف الذلاقة.

9- حسن تأليف الكلمة من الحروف.

10- خصائص كل صوت من حروف المعجم ، وجزئياتها كافة ، بمباحث متخصصة لم يسبق إليها في أغلبها على نموذج خاص في المنهج و العرض و التبويب.

فإذا أضيف إليها ما جاء في كتاب الخصائص ، تشكلت لدينا بحق وصدق الموسوعة الصوتية العربية الكاملة. و أرى أنها تمثل مبحث أصول الصوت اللغوي العربي ، وهي كالأتي:

1- الصوامت من الحروف والصوائت.

2- علاقة اللهجات بالأصوات.

3- علاقة الإعراب بالأصوات.

4- التقديم والتأخير من حروف الكلمات ، و تأثيرهما على الصوت.

5- علاقة الأفعال بالأصوات.

6- الإعلال و الإبدال و الإدغام و أثرها في الصوت.

7- الأصوات وعلاقتها بالمعاني.

8- زيادة المبنى الصوتي وأثره في المعنى.

و هي لعمري تمثل الأصول العامة لمباحث الصوت اللغوي عند ابن جني (43).

– التجديد في منهج البحث العلمي في الخصائص و سر صناعة الإعراب:

1– الخصائص:

لقد تبنى أبو الفتح بن جني المنهج العلمي لأستاذه أبي علي الفارسي ، و عمقه ببحثه عن الأصول العامة للنحو في كتابه الخصائص. وبحث في نشأة اللغات وأصوات العربية ، وعلاقة معاني الكلم العربية بأصواتها. وهذه بعض جوانب نظرية ابن جني التي بلورها في الخصائص :

أ- انطلق ابن جني من منطلق وصف البنية اللغوية ، لأن بحثه في الخصائص كان يدور بشكل رئيسي في نطاق بنية الكلمة المفردة، فعمد إلى دراسة الأصوات التي تتألف الكلمات منها ، وتسعى إلى اكتشاف القوانين التي تنظم العلاقة بين الأصوات في الكلمة. فبحث في الاشتقاق و أنواعه ، ودرس التقليبات الممكنة للكلمة الواحدة ، و بين أن الأمر المشترك الذي يجمع التقليبات هو

وحده المعنى. وأفضى ذلك به إلى القول بوجود علاقة مناسبة طبيعية بين الصوت والمدلول. ويعني هذا أن ابن جني لجأ إلى الوصف التطوري لبنية الكلمة الذي يأخذ بالاعتبار عامل الزمن.

– اهتم ابن جني باكتشاف القوانين العامة للنظام اللغوي ، ولم يتبن لدى البحث في نشأة اللغة نظرية التوقيف أو الاصطلاح ، بل جوزهما على حد سواء ، لأن ذلك لا يغير من حقيقة القوانين اللغوية. ولكن ابن جني أكد بشكل حازم على أمرين:

1- لم تنشأ اللغة في وقت واحد ’بل نشأت في أوقات متلاحقة.

2- كانت اللغة باستمرار تحافظ على اتساق نظامها.

بحث ابن جني في القوانين الصوتية العامة التي ترجع إلى الخصائص الفيزيولوجية للإنسان ، و عبر عنها بحس المتكلم ، كما وازن بين لغة العرب و لغة العجم.

ومن هذا العرض يمكن تلقيب منهج البحث عند ابن جني في الخصائص بالمنهج التاريخي العلمي. ويمكن تحديد ملامحه العامة فيما يلي:

1- الانطلاق من أن اللغة نظام.

2- اللغة ظاهرة اجتماعية ، و ترتبط البنية اللّغوية فيها بوظيفة الاتصال التي تؤديها اللغة.

3- تلازم اللّغة و التفكير.

و بما أن النظام اللغوي في حركة مستمرة ’ لذا يجب أن يستخدم في دراسته منهج تاريخي علمي. ويمكن ضبط مبادئه في الآتي:

1- التتام بين النطق والتفكير ووظيفة الإبلاغ منذ نشأة الكلام الإنساني . و إدراك العلاقة الذهنية بين الصوت وما يشير إليه كان البداية الأولى في تكوين التفكير الإنساني. و قد نطق الإنسان الأصوات بشكل واع ليستخدمها وسيلة لنقل أغراضه للأخرين.

2- لم ينشأ التفكير الإنساني طفرة واحدة ، وانطلق خط السير العام لتطوره من إدراك المشخص المحسوس ، و اكتمل بالانتقال إلى المجرد. كما أن النظام اللّغوي لم ينشأ مكتملا طفرة واحدة ، بل نشأ واكتمل تدريجيا بشكل موازٍ لنشأة التفكير الإنساني و اكتماله. ويتجلى اكتمال النظام اللغوي في اكتمال أصوات اللغة ، وتعبير مفرداتها عن المجردات ، واكتمال نظامها القواعدي الصرفي والنحوي ، أي صيغ تغيير كلماتها المفردة ، و أنماط علاقاتها التركيبية. أما مرحلة ما قبل اكتمال النظام اللّغوي ، فتتجلى في عدم اكتمال أصوات اللّغة ، وفي تعبير مفرداتها عن المحسوسات فقط ، وفي عدم اكتمال صيغ تصرف الكلمات المفردة فيها ، وأنماط علاقاتها التركيبية.

3- إنكار الترادف الذي يظنه بعضهم سببا لتميز لغة ما بثراء مفرداتها وسعة التعبير فيها ، والنظر إلى ما يعد من الترادف في لغة ما على أنه يعكس مرحلة تاريخية قديمة كانت فيها ألفاظ تلك اللّغة تعبر عن التفكير القائم على إدراك المشخص ، ولم تكن فيها التسميات الحسية قد استكملت بعد تركيزها في تجريدات.

4- يؤلف النظام اللغوي كلا واحدا ، توجد المستويات المتدرجة للبنية اللغوية فيه في علاقة تأثير متبادل فيما بينها ، و يحتل مستوى البنية الصوتية مرتبة المستوى الأساس والموجه بالنسبة لبقية المستويات ، لذا تنعكس خصائصه في المستويات اللغوية الأعلى، و لا يمكن تفسير خصائص المستوى الصوتي بحقائق من المستويات الأعلى، في حين أن العكس ممكن.

5- يجب علينا لدى دراسة النظام اللّغوي أن نهتم بما هو عام ومطرد ، دون أن نهمل الاستثناءات ، لأنها تعتبر شواهد على مراحل سابقة ، أو بدايات لتطور جديد. وبذا نتمكن من دراسة النظام اللغوي في وضعه الراهن –المتزامن – ، وفي تطوره في آن واحد. وخير دليل علمي على ذلك ، و أفضل الشواهد التاريخية هو المادة اللغوية نفسها للغة حقيقية معروفة. وعليه فمن أجل دراسة تاريخ اللغات يجب الاستناد إلى مادة لغوية تثبت الشواهد التاريخية أنها كانت موجودة فعلا ، وليست مفترضة الوجود فقط .(44)

و ما يستخلص من هذا كله أن فقه منهج البحث هو فقه قديم ، وعريق عراقة الموروث اللغوي العربي ، حيث لا خطاب ، و لا كتاب في تراثنا اللغوي و الأدبي و النقدي إلا بمنهج بحث. و أن علماءنا القدامى عرفوا فقه منهج البحث ، ومسكوا بناصيته قبل خوضهم غمار المعرفة اللّغوية العلمية ، بل أكثر من ذلك، أن منهج البحث هو الذي قادهم إلى هذا الإنتاج المعرفي الكبير و الغزير، الذي لا يزال شاهدا وشامخا بحق ، بل غدا مرجعا أساسا لأحدث النظريات اللغوية عند العرب وعند الغرب (45) ، و من ذلك المنهج التاريخي العلمي في كتاب الخصائص للعلامة أبي الفتح بن جني. وأحسب هذا سمة ظاهرة من سمات التجديد في البحث اللغوي القديم.

2- سر صناعة الإعراب:

و حين نتأمل هذا المنجز اللغوي الصوتي الكبير ، نستنبط من هندسة بنائه ملامح المنهج الوصفي الإجرائي العلمي الدقيق ، الذي جعل علماء العربية يتأملون كل أصوات العربية ، و يلاحظونها هذه الملاحظة الذاتية الدقيقة ، مما نتج عنها ثمار طيبة لم يخف إقرارها الدرس الصوتي الحديث ، حيث جمع فيه وصفا شاملا دقيقا لأحكام حروف المعجم كلها ، وكذا أحوال كل حرف منها ، و كيف مواقعه في كلام العرب ، ويذكر فيه أحوال هذه الحروف في مخارجها ، ومدارجها ، وانقسام أصنافها ، و أحكام مجهورها و مهموسها ، وشديدها و رخوها ، وصحيحها و معتلها ، ومطبقها و منفتحها ، وساكنها ومتحركها ، ومضغوطها و مهتوهها ، و ومنحرفها ومشربها ، و مستويها ومكررها ، و مستعليها ومنخفضها ، إلى غير ذلك من أجناسها (46).

وعليه فمفهوم الوصف عند علماء العربية من خلال هذا العرض لا يخرج عن إطار الأسلوب العلمي الموسوم بالموضوعية ، أي نقل حقيقة الموصوف كما هي – من دون إضفاء ذاتية أو عاطفة – بتوظيف آلية السمع والبصر في نقل الأمانة العلمية صوتا

وصرفا ونحوا وبلاغة. و يقترب الوصف — برأينا – من العلمية والموضوعية كلما اعتمد المنطوق سمعا وبصرا . وهو الذي اعتمده ابن جني في وصفه أصوات العربية بهذه الفرادة المميزة ، وأنه أضمن و أأمن وأدق للبحث الصوتي العربي بالخصوص .

– ابن جني و التجديد في المسائل الصوتية .

– أ – في تعريفه للصوت:

عرف ابن جني الصوت بقوله: هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها (47). فالتعريف هذا محدد بملامح الصوت اللغوي دون سواه بدليل تحديده مقاطع الصوت التي تثنيه عن الامتداد و الاستطالة. ويسمي وقفة الانثناء حرفا ، و يميز بين الجرس الصوتي لكل حرف معجمي ، بحسب اختلاف مقاطع الأصوات 'فتلمس لكل حرف جرسا ، و لكل جرس صوتا.

ومعنى هذا أن الصوت اللغوي عند ابن جني ليس حدثا صرفا ، إنما هو عرض لحدث ، إذ الحدث هو النفس الذي تقوم عليه حياة الإنسان. فالنفس أصل ، و الصوت تبع و عرض.

يقول الدكتور حلمي خليل: أجمع علماء الأصوات على أن العملية الهامة في إنتاج الكلام هي عملية التنفس. ويشيرون في هذا الصدد إلى أن معظم الأصوات اللّغوية يحدثها تيار من الهواء يجري خلال ممر هوائي يتكون من الرئتين والقصبة الهوائية و البلعوم وفراغ الفم والأنف. وكون هذا التيار الهوائي متحركا يستلزم بالضرورة وجود باعث على هذه الحركة ، ويستلزم نقطة بدء ونقطة نهاية ، وأن يسير في اتجاه خاص (48).

و من التعريف تلحظ أن كل من الصوت والحرف هما على الجانب المنطوق و الملفوظ من الكلام. فكأن الحرف هو انحراف وانقطاع لامتداد الصوت واستطالته. وكأنه بهذا هو طرف الصوت الذي هو عرض يخرج مع النفس مستطيلا ممتدا. ومن هنا ظهرت الدقة العلمية عند ابن جني في تحديد مفهوم مصطلح الصوت ، وتبين أن الحرف هو صوت ممتد و مقطع مثنى و صائت. وقد يبدو لبعضهم أن المقطع يحصل عندما نقول: اك ، اق ، اج ، إذ هو الصوت زائد المقطع. وهذا هو الحرف عند ابن جني من خلال التعريف ، وبعده يأتي الصائت إما فتحة فينتصب الصوت ، وإما ضمة فيرفع ، وإما كسرة فيخفض. ومن هنا قد لا نوافق الرأي القائل أن الحرف يأخذ الجانب الشكلي والخطي و يختص به ، و أن الصوت يختص بالجانب النطقي فقط. و نعتبره رأيا غير قائم على أسس علمية دقيقة . كما لا نوافق رأي من يقول: الصوت هو الحرف ، لأنه لا يحمل سندا علميا صحيحا. و أن تعريف ابن جني لا يدعمه (49).

لكن المتعمق في مسألة والحرف و الصوت ، يجد أن كلمة الحرف عند العرب القدامى لها معاني كثيرة ، وخاصة في مجال القراءات القرآنية ، غير أن الذي يعنينا منها هنا أمران هما: الصوت المنطوق ، و الرمز المكتوب. فبهذين المعنيين خاصة كان الحرف معروفا عند العرب ، وعند كثير من علماء أوربا لعهد قريب. و إذا ما تكلم اللغوي العربي عن الحرف ، فإنه لم يكن يعني إلا الصوت

اللّغوي ، وإذا عني رمزه المكتوب نبه على ذلك فقال مثلا: أما صورة الحرف في الخط ، أو قال: وهذا موجود خطا ولفظا ، أو نحوه. ففكرة الحرف هذه كانت مسيطرة على الدراسات اللغوي العربية ، إلا أنها في العصور الإسلامية المتأخرة صارت تعني غالبا الرمز الكتابي. و ابن جني نظر إلى الحرف كما نظر قبله الخليل و تلميذه سيبويه على أساس أنه عنصر ثلاثي الأجزاء ، أي له جانب التسمية التي يعرف بها كالألف ، و الهمزة و الباء ، ونحو ذلك. وجانب مسموع ، هو صوت الحرف ، وجانب مقروء ، هو رمزه الكتابي ، لكنه بالإضافة إلى هذا فإنه ميز بين الصوت والحرف . وتجلى ذلك في تعريفه مصطلح الصوت. : ... و عليه فالحرف عنده هو حد منقطع الصوت ، و غايته ، وطرفه . وهو من مادة (حرف) التي يراد بها حد الشيء وحدته . وقد سمى المقطع حرفا أيضا ، وهو ما يعرض للصوت فيثنيه عن امتداده كما سبق ، (فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا) (50). فيفهم منه أن المقطع هو الحرف ، إذ لو قال بهذا لظهر التداخل ، لكن عبارته –برأينا– كانت دقيقة جدا ، فهو لم يقصد المقطع ذاته وحده، إنما ركز على عبارة (أينما عرض له) ، وهو يفيد المخرج ، لا الحرف. و هذا هو مراد ابن جني.

ومن جهة أخرى نجد ابن جني يستخدم الصوت والحرف في معنى واحد ، حيث ناوب بينهما في حديثه عن الإدغام. فذكر تقريب الصوت من الصوت ، ثم عاد فذكر تقريب الحرف من الحرف. و قد يستخدم كلمة الصوت في معنى الحركة ، كما فعل في حديثه عن الإمالة ، أو عن كسر الشين و الباء في (شعير وبعير). و يقترب هنا من استخدام المحدثين لهذه الكلمة. و الأكثر من هذا أنه استخدم كلمة (صويت) في حديثة عن الصوت حين يدخل في تشكيل البنية. فإذا وقفنا على بعض الحروف بساكن تبع الحرف الصويت ، كما في اج ,اص,اق, وهو صويت يضعف ويتضاءل للحس على حد تعبيره ، إذا قلت: يحرد و يصبر، ونحوها. و الصويت هنا يغلب أن يكون مرادفا لما يسميه المحدثون الاحتكاك ، على رأي الدكتور كمال بشر.

ب– في وصفه جهاز الصوت المتنقل:

والمعروف أن ابن جني هو أول من عرض لجهاز النطق ، وشبهه بالناي و بوتر العود ليقدم صورة عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام ..(51).

تحدث ابن جني عن جهاز الصوت المتنقل ، أو مجموعة الأجهزة الصوتية في الحلق والفم ، وسماعنا تلك الأصوات المختلفة ، وذلك عند تذوقه للحرف العربي في اختلاف أجراسه وتباين أصدائه ، فشبه الحلق بالمزمار ، ووصف مخارج الحروف و مدارجها بفتحات هذا المزمار. وتتوجه عنايته بمجرى الهواء في الفم عند إحداث الأصوات ، ويشبهه بمراوحة الزامر أنامله على خروق الناي لسماع الأصوات المتنوعة والمتشعبة ، بحسب تغييره لوضع أنامله لدى فتحات المزمار.

يقول ابن جني في ذلك: (فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات ، وسمع لكل منها صوت لا يشبهه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق و الفم باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة (52).

وكذلك تعقيبه على هذا التمثيل في إحداث الصوت لأوضاع أجهزة الصوت ، بتشبيهه ذلك بوتر الصوت ، و كيفية ضربه ببعض أصابع اليسرى ، أو جسه في اليمنى ، مما يحدث أصواتا مختلفة عند تلقي الأذن لذلك .. فكذلك الحال للوترين الصوتيين

في جهاز النطق عند الإنسان. يقول ابن جني في ذلك: ونظير ذلك وتر العود ، فإن الضارب إذا ضربه ، و هو مرسل سمعت له صوتا ، فإذا حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه أدى صوتا أخر ، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غير محصور، تجده بالإضافة إلى ما أداه، و هو مضغوط محصور أملس مهتزا. ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته. فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، و الخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق ، و جريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة. و ما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع ، و اختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا (53).

إنّ هذا النص يكاد يكون ترجمة عصرية لرأي ابن جني في تشبيهه جهاز الصوت لدى بداية إخراج الأصوات بالمزمار الذي أصبح اليوم نقطة انطلاق الأصوات باعتباره فراغا يحاط بالوترين الصوتيين ، إذ لم يكن هناك بد عند ابن جني من تلمس جهاز ملموس للاستدلال به على قضية يصعب الاستدلال عليها في عصره دون النظر إلى ذلك الجهاز. أمّا التشبيه الذي عاد اليوم مظنة لمساحة نطقية قرب الحنجرة ، فإنّه قد لون بصبغة خاضعة لعلم التشريح . و ليس عصر ابن جني عصر تشريح ، و لا هو بمتخصص فيه مع فرض وجود أوليات الموضوع. لذلك جاءت هذه الترجمة معبرة عن رأيه ، وكاشفة عن تخطيطه تلقائيا ، وحاكية لتشبيهه تمثيليا. والأمر المنتزع من الحسن ، إذا أقيم عليه الدليل الفعلي كان مقربا للأفهام ، ومسايرا لحركة التفكير.

كما يمكن الإشارة إلى أن ذكر كلمة (بعضهم) في قول ابن جني يوحي بأن تشبيه الحلق و الفم بالناي ليس من صنعه ، و أغلب الظن أنه للخليل . فقد عرف عنه انشغاله بالموسيقى ، و إتقانها ، و كثيرا ما أورد ابن جني أراءه في كتبه. و يبقى أن المجمع عليه هو أنه تشبيه بارع كبراعة تشبيه الحلق بوتر العود. وفي قوله هذا ذكر أيضا أن الحلق يكون صلبا و رخوا ، و لصلابته أو رخاوته أثر فيما ينطق من أصوات . والمعروف اليوم أن في الفم حنكا صلبا ثابتا لا يتحرك ، وحنكا لينا قابلا للحركة ، قد يرفع أو يخفض فيغير في الأصوات (54).

و المهم في كل هذا أن ابن جني عرف أن الأصوات تختلف فيما بينها تبعا لأوضاع أعضاء جهاز النطق ، و أن من الأصوات ما تعترضه العوائق التي مثلها بأنامل الزامر على الناي ، أو أصابع ضارب العود على الوتر.

ج– في ترتيب الحروف:

لقد تتبع ابن جني الحروف في المخارج ، ورتبها ونظمها على مقاطع مستفيدا مما ابتكره الخليل بن أحمد، إلا أنه كان مخالفا له في الترتيب ، وموافقا لسيبويه في الأغلب ، إلا في مقام تقدم الهاء على الألف ، وتسلسل حروف الصفير. يقول ابن جني في ذلك: فهذا هو ترتيب الحروف على مذاقها و تصعدها ، وهو الصحيح. فأمّا ترتيبها في كتاب العين ، ففيه خطل واضطراب ، ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبه سيبويه ، وتلاه أصحابه عليه ، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته (55).

ولعل هذه نظرته الخاصة في الأصوات. كما نجده يضيف ستة أحرف مستحسنة على حروف المعجم العربي ، وثمانية فرعية مستقبحة . ولا يصح ذلك عنده إلا بالسمع و المشافهة حتى تكون حروف المعجم مع الحروف الفرعية المستحسنة خمسة وثلاثين حرفا ، وهما مع الحروف الفرعية المستقبحة ثلاثة وأربعون حرفا.

وقد ذهب ابن جني في هذه الحروف مذهبا فنيا تدل عليه قرائن الأحوال ، فهو يعطي استعمالها في مواطنه ، وتشخيصها في مواضعه. فالحروف المستحسنة عنده يؤخذ بها في القرآن الكريم ، وفصيح الكلام ، وهي: النون الخفيفة ، ويقال لها الخفية ، و الهمزة المخففة ، و التفخيم ، وألف الإمالة ، والشين التي كالجيم ، والصاد التي كالزاي . .. و الحروف الفرعية المستقبحة ، وهي غير مستحسنة ، ولا يؤخذ بها في القرآن ، ولا في الشعر ، ولا تكاد توجد إلا في لغة ضعيفة مرذولة ، غير متقبلة.

وهي الكاف التي بين الجيم والكاف ، والجيم التي كالكاف ' والجيم التي كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التي كالسين ، والظاء التي كالثاء ، والظاء التي كالتاء ، والباء التي كالميم ، ولا يصح أمر هذه الحروف الأربعة عشر اللاحقة للتسعة والعشرين ، حتى كملتها ثلاث وأربعين ، إلا بالسمع والمشافهة (56).

وهذه برأينا إضافة إلى البحث الصوتي لم يشر إليها أحد من قبله ، ولا من عصره ، ولا من بعده ، فهو جهد تجديدي ظاهر.

د- في مخارج الحروف:

حصر ابن جني مخارج الحروف في ستة عشر مخرجا ، ناظرا إلى موقعها في أجهزة النطق ومنطلقا معها في صوتيتها في غاية الدقة العلمية ، وهي على الآتي:

1- من أسفل الحلق وأقصاه مخرج الهمزة و الألف و الخاء.

2- من وسط الحلق مخرج العين والحاء.

3- مما فوق ذلك من أول الفم مخرج الغين والخاء.

4- مما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف.

5- من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف.

6- من وسط اللسان ، بينه وبين وسط الحنك الأعلى، مخرج الجيم والشين و الياء.

7- من أول حافة اللسان ، وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

8- من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها - من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب و الرباعية و الثنية مخرج اللام.

9- من طرف اللسان ، بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون.

10- من مخرج النون ،غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام - مخرج الراء.

11- و مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء.

12- ومما بين الثنايا و طرف اللسان مخرج الصاد والزاي والسين.

13- و مما بين طرفي اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال و الثاء.

14- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا ، مخرج الفاء.

15- و مما بين الشفتين ، مخرج الباء والميم والواو.

16- ومن الخياشيم مخرج النون الخفية ، ويقال :الخفيفة ، أي الساكنة.

فذاك ستة عشر مخرجا (57).

و بهذا الإحصاء المحكم ، و الوصف الدقيق لمخارج الحروف يكون ابن جني قد أسقط الجوف ، و لم يره مخرجا ، كما فعل سيبويه قبله.

هـ- في مصدر الصوت:

يقول ابن جني: اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا. وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها. وإذا تفطنت لذلك وجدته على ما ذكرته لك. ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ، ثم تبلغ به أي المقاطع شئت ، فتجد له جرسا ما ، فإن انتقلت عنه راجعا منه ، أو متجاوزا ، ثم قطعت ، أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول ، وذلك نحو الكاف. فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما ، فإن رجعت إلى القاف سمعت صدى غيره ، وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين(60).

لقد كشف لنا العرض هذا عن مصطلح جديد هو المقطع . وهو اليوم حديث اهتمام عند الأوروبيين. لقد شد هذا المصطلح أيضا اهتمام العلامة ابن جني تحديدا وتحليلا و مناقشة وممارسة أصواتية متميزة ، كان هو الأساس فيها في الدلالة الدقيقة على المعنى المراد دون غيره من علماء الأصوات الآخرين.

و الأصوات عادة تتجمع في وحدات ، تكون أكبر من الأصوات بالضرورة ' لأنها أطول مسافة صوتية ، فتشكل في أكثر من صوت وحدة صوتية معينة. و أهم هذه الوحدات المقطع الذي تذوقه ابن جني ، فرأى فيه ما يثني الكلام عن استطالته وامتداده تارة ، وما تحس به صدى عند تغير الحرف غير الصدى الأول تارة أخرى.

وقد جرى تأليف المقطع العربي على البدء بحرف صامت ، ويثنى بحركة ، ولا يبدأ بحركة إطلاقا خلافا للغات أوروبية.

ومن المبادئ الأساسية أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد و تختمها إما بحركة ، فهو المقطع المفتوح ، وإما بصامت ، فهو المقطع المقفل. ومن غير الممكن أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت ، أو تتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين ، أو أن تختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة (59).

فحرف صامت زائد حركة يساوي مقطعا ، وهو المقطع القصير. وقد يضاف إلى هذا الحرف صامت أو حركة أخرى ، فيكون المقطع طويلا ، لأنه تجاوز الحد الأدنى من التكوين ، وهو الحرف والحركة ، وتخطاهما إلى ثالث حركة أم حرفا.

و العربية في طبيعتها تتكون جل كلماتها من ثلاثة مقاطع في المادة دون اشتقاقها ، ففي الثلاثي خذ كلمة (ذهب) ، فهي على ثلاثة مقاطع (ذ + حركة – هـ + حركة – ب+ حركة) ، وكل مقطع هنا مكون من حرف و حركة.

يقول ابن جني: ذلك أن الأصول ثلاثة ، ثلاثي ورباعي وخماسي. فأكثرها استعمالا ، وأعدلها تركيبا الثلاثي ، وذلك لأنه حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه . وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه فحسب ، و لو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه ، لأنه أقل حروفا. فتمكن الثلاثي إنما هو لقلة حروفه – لعمري- ولشيء آخر ،هو حجز الحشو الذي هو عينه بين فائه ولامه ، وذلك لتعادي حاليهما. ألا ترى أن المبتدأ به لا يكون إلا متحركا ، و أن الموقوف عليه لا يكون إلا ساكنا. فلما تنافرت حالاهما ، وسطوا العين حاجزا بينهما ، لئلا يفجئوا الحس بضد ما كان آخذا فيه ومنصبا إليه (60).

لقد أدرك علماء الأصوات العرب هذا التخطيط المقطعي من قبل ، فأكدوه في تقطيع الوزن العروضي للشعر عند الخليل في حدود. وهو ما أثبته ابن جني في برمجيته للمقاطع بتفصيل. وهو نفسه ما تحدث عنه. فالحرف لا ينطق وحده فيشكل صوتا ، إلا بانضمام الحركة إليه ، فيتكون بذلك المقطع الصالح للتصويت.

إن ما توصل إليه الغربيون في حد المقطع و تعريفاته هو الذي سبق إليه ابن جني ، وأضاف إليه ذائقة كل مقطع. يقول في ذلك: وسبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف ، أن تأتي به ساكنا لا متحركا ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره ، وتجتذبه إلى جهة الحرف التي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به ، فيقول: اك ، اق ، اج ، وكذلك سائر الحروف ، إلا أن بعض الحروف أشد حصرا للصوت من بعضها (61).

وهذا العمل نعتبره تجديدا في حق البحث الصوتي ، بل ابتكار لم يسبق إليه. و الأكبر عند ابن جني أن يهتدي إلى سر المقطع من خلال تصريفه لشؤون الحركات. فهو يعتبر الحركة صوتيا تتبع الحرف. يقول ابن جني: ... وإنما يعرض هذا الصويت التابع لهذه الحروف ، ونحوها ما وقفت عليها ، لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها ، فيتمكن الصويت فيظهر. فأما إذا وصلت هذه الحروف ونحوها ، فإنك لا تحس معها شيئا من الصوت ، كما تجده معها إذا وقفت عليها (62).

و– في صدى الصوت:

يتحدث ابن جني عن صدى الصوت في تكوين اللغة ، وأثر المسموعات الصوتية في نشوء الأصوات الإنسانية ، فيقول: وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من أصوات المسموعات ، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيح الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، نزيب الضبي ، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد. وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل (63).

كما ذهب مذهبا صوتيا فريدا ربط فيه بين الصوت و الفعل تارة ، وبين الصوت والاسم تارة أخرى. وبحث في علاقة كل منهما بالآخر على أنها علاقة حسية و مادية متجسدة. فجرس الألفاظ ووقعها فيما يحدثه من أصوات وأصداء سمعية قد يكون متجانسا ومتقاربا لنوعه عنده. يقول ابن جني في ذلك: فإن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفها أصوات الأفعال التي عبر بها عنها ، ألا تراهم قالوا :قضم في اليابس ، و خضم في الرطب ، وذلك لقوة القاف وضعف الخاء ، فجعلوا الصوت الأقوى للفعل الأقوى ، و الصوت الأضعف للفعل الأضعف (64).

ويقول أيضا: من ذلك قولهم : خضم وقضم. فالخضم لأكل الرطب ، كالبطيخ و القثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب. والقضم للصلب اليابس ، نحو قضمت الدآبة شعيرها ، ونحو ذلك. وفي الخبر :قد يدرك الخضم بالقضم. أي يدرك الرخاء بالشدة ، و اللين بالشظف .وعليه قولأبي الدرداء: يخضمون ونقضم والموعد الله. فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، و القاف لصلابتها لليابس ، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث (65).

وتجده يلائم بين الصوت اللغوي وعلاقته بصوت الطائر في الاستطالة و القطع. فالراء مرددة مكررة مستطيلة ، وصوت الجندب مثلا ، مستطيل ، فجعلت له (صر مشددة) ، وصوت البازي مثلا متقطع ، فقطعت الراء فكانت (صرصر) ، و ذلك في مارآه ، وكذلك قالوا: الجندب ، فكرروا الراء لما هناك من استطالة صوتية. وقالوا: صرصر البازي ، لما هناك من تقطيع صوته (66).

وفي هذا المجال فإن ابن جني لم يقف عند هذا الحد من النظرية و التطبيق ، بل نجده يربط أحيانا بين الأصوات ، وبين ما سمي به الشيء ، نظرا لمشابهته لذلك الصوت المنطلق من التسمية كالبط لصوته ، و الواق للقرد لصوته ، و غاق للغراب لصوته. وهو يذهب بهذا مذهب من يجد مناسبة بين الصوت والمعنى ، لاسيما عند البلاغيين في التماس اللفظ بالمعنى ، أو في الدلالة الحسية للفظ بالمعنى. وهو من باب تسمية الشيء باسم صوته. وتلك مقوله صحيحة في جملة من الأبعاد ، وحقيقة في كثير من المسميات والتسميات. فالعرب قد يضيفون إلى اختيار الحروف ، و تشبيه أصوتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها وتقديم ما يضاهي أول الحديث ، وتأخير ما. المقصود . وذلك كقولهم: (بحث) فالباء لغلظتها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض ، و الحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد ، و براثن الذئب ، ونحوها إذا غارت في الأرض ، و الثاء للنفث والبث للتراب. وهذا أمر تراه محسوسا محصلا فأي شبهة تبقى بعده ، وأي شك يعرض على مثله (67).

ز- الصوامت والصوائت:

إنّ العرب اعتنوا بالصوامت والصوائت في آن واحد ، وعرضوا لمميزاتها الصوتية على نحو يتفق مع ما حدده علماء الأصوات المحدثون. ومنهم من فرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة ، لكنهم أولوا الأصوات الصامتة عناية خاصة ، ووجهوا إليها معظم جهودهم وبحوثهم الصوتية ، فنظروا فيها من حيث مخارجها وصفاتها المختلفة ، وإن لم يقدموا لنا تعريفا علميا لها. ويعود اهتمامهم بالصوامت إلى نظرية الأصول عند علماء العربية ، فأصول الكلمات أصوات صامتة ، و إلى وجود رموز مستقلة للحروف السابقة لرموز الحركات. والمهم هنا هو الطريقة التي يسر صناعة الإعراب ، وسماه (ذوق أصوات الحروف). يقول في ذلك: سبيلك إذا أردت اعتبار صدى الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا ، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه ومستقره وتجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه ، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله ، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: اك، اق، اح وكذالك سائر الحروف (68). لقد اعتمد في ذوقه للحروف على أساس اعتمده قبله الخليل ، حيث أدرك أهم شيء يميز الحروف الصامتة عن الصائتة. فالأولى قد يقف هواؤها وقوفا تاما ، فلا تجد للصوت منفذا هناك. والثانية حروف المد ، يمتد فيها الهواء في مجراه ، ويستمر في الامتداد لا يمنعه شيء حتى ينتهي بانتهاء نطق الصوت نفسه. يقول في ذلك: فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقطع الصوت عن امتداده واستطالته ، استمر الصوت ممتدا حتى ينفد ، فيفضي حسيرا إلى مخرج الهمزة ، فينقطع بالضرورة عندها إذا لم يجد منقطعا فيما فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: هي الألف ، ثم الياء ، ثم الواو.

أما تمييز ابن جني بين الصامت والصائت ، فقد جاء متفقا مع رؤية عليه الدراسات الصوتية الحديثة. فهذا الصوت المستطيل الأملس هو الصائت الذي لا يعترضه عائق. أما الذي اعترضه ما يقطع امتداده هو الصوت الصامت. كما يسمي ابن جني الصامت صحيحا ، و الصائت حرف مد واستطالة. يقول في ذلك: وجميع الحروف صحيحة ، إلا أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف المد والاستطالة ... إلا أن الألف أشد امتدادا ، و أوسع مخرجا ، و في نطق هذه الألف خاصة ظاهرة حرية مرور الهواء وانطلاقه (69).

ولم يكتف ابن جني بالتمييز بين الصامت و الصائت ، بل تحدث عن الصوائت حديثا خاصا ، و أدرك نوعا من العلاقة بين الحركة وحروف المد ، حيث يقول موضحا: اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد و اللين ، وهي الألف و الياء والواو. فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة. فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو. وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة (70).

ومن أهم ما يستخلص من هذا النص:

- أن الحركات تشترك مع حروف المد في ناحية النطق و الوضوح السمعي ، إلا أنها أقصر من تلك الحروف ، فهي أبعاض لها.

و الدليل على ذلك عند ابن جني هو أنك متى أطلت الحركة صارت حرف مد. وفي هذا يقول: ويدلك على ذلك أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه (71).

ونجده يأتي بأمثلة على هذا منها أنك إذا أشبعت فتحة عين (عمر) حصلت على (عامر) ، وإذا اشبعت ضمة عين (عمر) حصلت على (عومر). فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها (72).

وعلى هذا يمكن أن نعد عند ابن جني حروف المد حركات طويلة على نحو ما يرى المحدثون. وإن لم ينص على أنها حركات ، فهذا مفهوم من كلامه ، إذ أن الحركات والحروف تتفق في كل شيء مع فارق واحد هو الطول والقصر. كما أن إشارته إلى المتقدمين توحي بأنهم أدركوا ما وضحه. و هذا ما نلاحظه إذا نظرنا في صنيع الخليل حين اخترع علامات الضبط التي ما نزال نستعملها إلى اليوم.

حيث أخذ من حروف المد صورها مصغرة للدلالة عليها ، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف ، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة ، والكسرة ياء متصلة تحت الحرف ، و الفتحة ألف مبطوحة فوقه (73).

وقد عد ابن جني الفتحة أولى الحركات ، و أدخلها في الحلق ، وبعدها الكسرة ، ثم الضمة. ومن هنا كانت ظاهرة الإمالة جنوحا بالألف إلى الكسرة ، وظاهرة التفخيم جنوحا بالألف إلى الضمة. والإمالة والتفخيم في الألف عنده حرفان مستحسنان يؤخذ بهما في القرآن وفصيح الكلام. ومعنى هذا أن ابن جني عرف الحركات الفرعية ، ونص على هذا بوضوح ، فقال: و هناك حركات فرعية أخرى كالتي بين الفتحة والكسرة ، والتي بين الضمة والكسرة ، ومحصولها على الحقيقة ست حركات. فإذا نظرنا إلى الحركات بمنظار المحدثين ، لرأيناها في العربية ثلاثا في الوظيفة والتمييز بين المعاني ، ولكنها في النطق تسع ، ذلك أن كل حركة يصيبها التفخيم أو الترقيق .وقد تكون في مرتبة متوسطة بينهما. وإذا عددنا حروف المد حركات طويلة ، كان لنا من حركة ست صور، ويصبح مجموع الحركات عندئذ ثماني عشرة (74).

وواضح أن التفخيم أو الترقيق للحركة ، أو نطقها بين بين لا يؤثر في المعاني ، إنما هي صور نطقية. والأمر المهم هنا أن ابن جني تنبه لطرائق نطق الصوائت ، وذكر صعوبة النطق في بعضها. فلو تكلفت مثلا أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة ، لاحتجت إلى الرجوع على أول الحلق ، وفي هذا مشقة (75).

– وفي موضع الحركة من الحرف ، كان ابن جني يراها بعده لا قبله. وهو الرأي الذي لم يحاول المحدثون نقضه ، ذلك أن الأدلة والشواهد التي جاء بها قوية. يقول في ذلك: واعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه ، أو بعده .فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف ، وذلك أن الحرف كالمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه ، فهي محتاجة إليه، و لا يجوز وجودها قبله ، وأيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا ....فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها (76).

الخاتمة:

إنّ الكتابة عن العلامة ابن جني في منجزه العلمي الكبير لا تفي بوصفها هذه الدراسة ، وإن حرصت ، لأن حقيقة التعامل هي مع موسوعة في صوتيات العربية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ودلالة. فالرجل لم يترك جزئية صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، أو بينها ، أو فصلها أو أشار إليها ، أو لمح ، أو صرح برأي فيها.

وما يحسن بسطه من استنتاج لهذا الجهد اللغوي العلمي ما يلي:

– أول جهد علمي منظم ومحكم في الحقل الصوتي العربي هو جهد العلامة ابن جني في منجزيه الخصائص و سر صناعة الإعراب.

– يعد جهده في المنجزين العلميين بحق موسوعة صوتية عربية شاملة و فريدة ، لا تزال شامخة كالطود العظيم إلى يومنا ، يستثمر منها الدرس الصوتي الحديث عند العرب وعند الغرب.

– إنه بمنجزه العلمي هذا يعد بحق مجددا مجتهدا في البحث اللغوي عامة ، والصوتي خاصة ، اطلع على جهد سابقيه كالخليل وسيبويه ، وأضاف إليه جديدا.

– إن الدارس للخصائص وسر صناعة الإعراب ليكتشف أن ابن جني لم يكن مجددا فحسب ، بل هو مجتهد ومبدع. ولا يكون هذا إلا من صنع العبقري الكبير.

ومن كشفه العلمي الصوتي:

– إبداعه مصطلح علم الأصوات.

– تعريفه للصوت ، كونه عرض يخرج مع النفس.

– تشبيهه الجهاز الصوتي بآلة العود (جهاز الصوت المتنقل)

– إبداعه مصطلح المقطع وتفصيله فيه.

– تفريقه بين الصوت والحرف.

– تمييزه بين الأصوات الصامتة و الصائتة وفق ما تتحدث عنه الدراسات الصوتية الغربية الحديثة اليوم.

– انضباطه في الخصائص بالمنهج التاريخي العلمي ، وفي سر صناعة الإعراب بالمنهج الوصفي الإجرائي التحليلي.

– اشتمال مقدمة الكتاب على المعايير العلمية التي يلزمها الدرس اللغوي الصوتي الحديث.

وخلاصة أن النتائج التي وصل إليها هذا العالم في هذا الوقت الذي كان يعيش فيه لتعد مفخرة له ولمفكري العرب في هذا الموضوع. و مما يؤكد براعتهم ونبوغهم في هذا العلم أنهم قد توصلوا إلى ما توصلوا إليه من حقائق مدهشة دون الاستعانة بأية أجهزة أو آلات تعينهم على البحث و الدراسة كما نفعل نحن اليوم (77).

هوامش البحث:

-1- الرعد 4.

-2- إبراهيم 4.

-3- البقرة 213.

- 4- البقرة 106.

- 5- هود 119.

- 6- الأنفال 60.

- 7- الأنعام 122.

- 8- حديث نبوي شريف صحيح.

- 9- حديث نبوي شريف صحيح.

- 10- حديث نبوي شريف نقلا عن كتاب الوجيز في أصول الفقه – د. عبد الكريم زيدان – - ص 408- مؤسسة الرسالة – ط1-2002.

- 11- النساء 102.

- 12- إبراهيم 25-26.

- 13- لسان العرب –ابن منظور –ج2- ص 202- حرف الجيم – دار إحياء التراث العربي - تصحيح محمد الصادق العبيدي وأمين محمد عبد الوهاب –ط3- مؤسسة التاريخ العربي.

- 14- الرعد 11.

- 15- سبأ 16.

- 16- فاطر 43.

- 17- النساء 18.

- 18- الفرقان 70.

- 19- الكهف 108.

- 20- البداية والنهاية –ابن كثير –ج11–ص 360- دار الفجر – القاهرة 1998.

- 21- وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان – ابن خلكان أحمد بن محمد – ج3- ص 246- دار الثقافة بيروت 1977 – دون طبعة.

- 22- بغية الوعاةفي طبقات اللغويين و النحاة – السيوطي - ج2- ص132- المكتبة العصرية بيروت –(د.ط)

- 23- الخصائص – أبو الفتح بن جني – ج1- ص 6- دار الحديث القاهرة (د.ط).

- 24- مقدمة الخصائص – الشربيني شريدة – ج1- ص9 – دار الحديث القاهرة 2007.

- 25- المرجع نفسه – ج1-ص 12.

- 26- معجم الأدباء – ياقوت الحموي – ج12-ص 91- دار إحياء التراث العربي – بيروت - (د.ط).

- 27- تقدمة الخصائص – الشربيني شريدة – ج1-ص 9.

- 28- المرجع نفسه – ج1- ص16.

- 29- يتيمة الدهر – أبو منصور الثعالبي –ج1-ص137- دار الكتب العلمية – بيروت – ط1- 1983.

- 30- ابن جني وجوده اللغوية والنحوية – سليمان سالم علي باقشع – مذكرة لنيل شهادة - الباكالوريوس – إشراف د. عبد القادر با عيسى – 2009-2010. ص31.

- 31- المرجع نفسه –ص31.

- 32- النحل 103.

- 33- المنصف في شرح تصريف المازني –أبوالفتح بن جني – ج2- ص 242.

- 34- المرجع نفسه –ج1- ص4.

- 35- سر صناعة الإعراب – ابن جني – ج1- ص56.

- 36- المصدر نفسه – ج1- ص 9.

- 37- المصدر نفسه – ج1- ص 56.

- 38- ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية – سليمان سالم باقسع- مذكرة باكالوريوس -2009- - 2010 - جامعة العلوم التكنولوجيا –كلية العلوم الإدارية والإنسانية – اليمن .

- 39- المرجع نفسه .

- 40- المرجع نفسه.

- 41- سر صناعة الإعراب – ابن جني – ج1-ص 4.

- 42- المصدر نفسه – ج1- ص4-5.

- 43- ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية – سليمان سالم علي باقسع بحث تخرج لنيل شهادة - الباكالوريوس – 2009-2010 - كلية العلوم الإدارية والإنسانية – اليمن.

- 44- النظرية اللغوية العربية الحديثة – جعفر دك الباب – ص 59-60- 61-62- بتصرف - اتحاد كتاب العرب – دمشق - 1996.

- 45- قراءة في مرجعية المنهج الوصفي الوظيفي في الدرس اللغوي القديم – عمار ساسي – دراسة- قدمت في مؤتمر النقد الأدبي الثالث عشر بعنوان: المرجعيات في النقد والأدب واللغة - جامعة اليرموك – إربد – 27-26- 7- 2010.

- 46- سر صناعة الإعراب – ابن جني –ج 1 –ص4.

- 47- المصدر نفسه- ج1 –ص6.

- 48- مقدمة لدراسة اللغة – حلمي خليل – ص211- دار المعرفة الجامعية –مصر- 1996.

- 49- اللسان العربي وقضايا العصر – رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص -- والتعليم و التحليل- عمار ساسي – ص 52- دار عالم الكتب الحديث- إربد- الأردن - ط 1- 2009.

-50 - سر صناعة الإعراب – ابن جني – ج1- ص6. - 51- فقه اللغة في كتب العربية – عبده الراجحي – ص 133- دار النهضة العربية – بيروت - لبنان -1982.

- 52- سر صناعة الإعراب – ابن جني – ج 1- ص 8-9- دار القلم –دمشق – - ط 1- 1985.

- 53- المصدر نفسه – ج1- ص 8-9.

- 54- ابن جني وجهوده اللغوية والنحوية – سليمان سالم – إشراف عبد القادر - - باقسع- 2009- 2010.

- 55- سر صناعة الإعراب – ابن جني - ج 1- ص 45- 46.

- 56- المصدر نفسه – ج1- ص46.

- 57- المصدر نفسه – ج1- ص 46-47-48.

- 58- المصدر نفسه – ج1- ص 6.

- 59- أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي- عبد الصبور شاهين –ص409- القاهرة مكتبة الخانجي – 1987-(د.ط).

- 60- الخصائص – ابن جني – ج1- ص 106-107.

- 61- سر صناعة الإعراب - ج1- ص 6-7.

- 62- المصدر نفسه – ج1- ص 6-7.

- 63- الخصائص – ابن جني – ج1- ص 46-47- دار الكتب المصرية – تحقيق محمد علي النجار.

- 64- المصدر نفسه – ج1- ص 111.

- 65- المصدر نفسه- ج1- ص 157-158.

- 66- المصدر نفسه _ ج1- ص 111.

- 67- المصدر نفسه- ج1- ص163.

- 68- سر صناعة الإعراب - ابن جني – ج1- ص6.

- 69- المصدر نفسه – ج1-ص8.

- 70- المصدر نفسه – ج1- ص 17.

- 71- المصدر نفسه – ج1- ص 18.

- 72- المصدر نفسه – ج1- ص18.

- 73- المصدر نفسه – ج1- ص 18 (بتصرف).

- 74- الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة – د . عبد الفتاح المصري- دراسة – مجلة التراث العربي – العددان 15-16 – السنة الرابعة –أفريل – يوليو-1984م- اتحاد كتاب العرب – دمشق.

- 75- المرجع نفسه.

- 76- سر صناعة الإعراب _ ابن جني – ج1-ص 28.

- 77- علم اللغة العام – القسم الثاني- الأصوات – ص 119-120 – دار المعارف – بمصر -1970- نقلا عن فقه اللغة في كتب العربية لعبده الراجحي – ص 135- دار النهضة العربية- بيروت – لبنان.

– مصادر البحث ومراجعه:

– القرآن الكريم – المصحف الشريف برواية ورش عن نافع – المؤسسة الوطنية – للفنون المطبعية – وحدة الرغاية – 2010.

– الخصائص – أبو الفتح بن جني – دار الحديث القاهرة – (د.ط)– 2007.

– الخصائص – ابن جني – تحقيق محمد علي النجار – د.ط.

– تقدمة كتاب الخصائص – الشربيني شريدة – دار الحديث – القاهرة – 2007.

– البداية والنهاية – ابن كثير – دار الفجر – القاهرة– 1998.

– وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان – ابن خلكان أحمد بن محمد– دار الثقافة – بيروت –1977– د.ط.

– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – الإمام السيوطي – المكتبة العصرية – بيروت – د.ط.

– معجم الأدباء – ياقوت الحموي – دار إحياء التراث العربي –بيروت – د.ط.

– يتيمة الدهر – أبو منصور الثعالبي – دار الكتب العلمية – بيروت –ط1– 1983.

– ابن جني و جهوده اللغوية والنحوية– سليمان سالم علي باقسع – إشراف د. عبد القادر علي باعيسى – العام الجامعي – 2009–2010. مذكرة باكالوريوس– كلية العلوم الإدارية و الإنسانية – قسم اللغة العربية . الجمهورية اليمنية.

– سر صناع الإعراب – أبو الفتح بن جني – تحقيق د.حسن هنداوي– دار القلم – دمشق – ط1–1985– المنصف في شرح تصريف المازني – أبو الفتح بن جني– – النظرية اللغوية العربية الحديثة – أ.د جعفر دك الباب – اتحاد كتاب العرب – دمشق – ط1– 1996.

– مقدمة لدراسة اللغة – د. حلمي خليل – دار المعرفة الجامعية – القاهرة 1996.

– اللسان العربي وقضايا العصر – رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص – و التعليم والتحليل– أ.د عمار ساسي – دار عالم الكتب الحديث – إربد – الأردن –– 2009.

– فقه اللغة في كتب العربية – د. عبده الراجحي – دار النهضة العربية – بيروت – لبنان – 1982.

– أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي – عبد الصبور شاهين – القاهرة مكتبة – الخانجي – 1987– د.ط.

– الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية المعاصرة – د. عبد الفتاح المصري – مجلة التراث العربي – فصلية تصدر عن اتحاد كتاب العرب – دمشق – العددان 15–16– أفريل –يوليو – 1984م.